اجتهادات
تمييزُ فى الكوارث أيضًا

يبدو للوهلة الأولى أن الكوارث الطبيعية لا تُميّزُ بين البشر حسب أصولهم وأديانهم ومذاهبهم وطبقاتهم الاجتماعية. معظم المدن والبلدات والأرياف التى زلزلت الأرض بسكانها مختلطة على صعيد الانتماءات الاولية. فلا تمييز، إذن، ولا مفاضلة. ولكن المساواة فى الكارثة تنتهى عند هذا الحد. فبعد الثوانى التى استغرقها الزلزالُ الأول، بدأ الاختلافُ بين أحوال الأثرياء والفقراء فى الظهور، سواء الضحايا الذين لقوا حتفهم أو الناجون. يندرُ أن تجد بين القتلى ثريًا تعذر التعرف عليه، ودُفن فى مقبرةٍ جماعية كُتب على الشاهد فوقها رقمُ وليس اسمًا. صحيحُ أن بعض الفقراء أمكن معرفة هوياتهم، ولكن كل الأثرياء تقريبًا كانوا كذلك. وهذا الفرقُ بين البعض والكل طبقىُ بامتياز. فالأكثرُ فقرًا لا يُسأل عنه، ولا يُهتم به، إذا فقد ذويه، بخلاف الثرى الذى يُبحثُ عنه سواء لمجبةٍ أو لمصلحة. وإذا كان لديه كثيرُ مما يُورث, يزدادُ الباحثون عنه والمتنافسون لإكرامه ونعيه. أما الناجون فالفروقُ الطبقيةُ بينهم أكثر وضوحًا، ولا تحتاجُ إلى جهدٍ لإدراكها. لا يبحثُ ناج ثرىُ فقد منزله عن خيمةٍ يحتمى بها من قسوة الطقس إذا كان ممكنًا أن تحميه فعلاً، ولا عن لقمة عيشٍ أو شربة ماء. ولكن الفقير إن لم يكن لديه أقارب أو أصحاب يمكنه اللجوء إليهم، فليس لديه ما يفعله سوى الدعاء وانتظار الفرج. فقط الفقراء هم من ينتظرون المساعدات، ويحزنون لعدم وصولها، أو لقلتها، خاصةً إذا كان

لديهم أطفال نجوا معهم من الزلزال ويتمنون لهم النجاة من تداعياته. يستطيعُ الثرى، الذى يفقدُ منزله، أن يشترى أو يؤجر بديلاً فى منطقةٍ آمنة إن لم يكن لديه بيت آخر أو أكثر. وهذا ما فعله كلُ من كان فى إمكانه الانتقال إلى منطقةٍ أكثر أمنًا. ولوحظ فى الايام الأولى أن الطرقُ, التى بقيت صالحةً للاستخدام فى معظم المناطق التى ضربتها الكارثة, اكتظت بسيارات الخارجين منها، الأمر الذى أعاق حركة شاحناتٍ حملت مساعداتٍ للفقراء الباقين. مظلومون دائما هم الفقراء فوق الأرض وتحتها. فطوبى لكل مظلومٍ فقيرًا كان أو لم يكن.